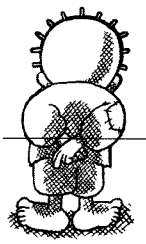

ناجي العلي: سحر الكرامة

نظرةٌ من الداخل

ناجي والرقيب الإسرائيليّ

تعرّفتُ كغيري من جمهور «الداخل» إلى ناجي العلي من خلال رسومه المهرَّبة. فرسوم ناجي كانت تصل إلى صحف الأرض المحتلّة، العلنيّةِ والسريّةِ، من خلال الصحف والمجلاّت الفلسطينيّة والعربيّة التي كانت تَصْدر في الخارج وتصل بدورها بطرق «غير مشروعة» إلى الأرض المحتلّة، ثم تقوم تلك الصحفُ في الداخل بإعادة نشرها من دون إذن ناجي ولا إذنِ الصحف صاحبةِ حقوق النشر والتوزيع.

عرفتُ فيما بعد أنّ ناجي كان يُسَرّ لكلّ هذه العملية: التهريب أولاً، والسرقة ثانيًا. فالمهمّ بالنسبة إليه هو أن تصل الرسومُ إلى الداخل، ومنه إلى داخل الداخل ـ ذلك أنّ إعادة النشر امتدّت فيما بعد إلى صحافة الأرض المحتلّة عام ١٩٤٨ وبالطريقة ذاتها.

كانت الرسومُ جريئةً حادّةً، وساخرة. وكانت لها ميزة أخرى وهي أنّها كانت معارضةً للسياسة الرسميّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، الأمرُ الذي جعل لها نكهةً خاصة، نكهةَ المشاكسة والتمرّد والقدرة على نقد الذات.

في أواسط الثمانينيّات دخل الفاكس على الخطّ، وساعَدَ بشكل كبير في عمليّة التهريب واختزال الوقت. ولكنّ الأدوار تغيّرتْ: فقد بات اللاعبُ الرئيسيُّ هنا، أو بالأحرى المهرِّبُ الرئيسيُّ، هو ناجي العلي نفسه.

أخذ يرسل رسومَه إلى صحيفة **الاتحاد** الحيفاويّة، وهي جريدة الحزب الشيوعيّ الإسرائيليّ. وكانت صحيفتان أُخريان تنشران رسومَه.

ومثلَ أيّة مادة صحفيّة أخرى تُنْشر في الصحف العلنيّة، كان لرسوم ناجي أن تمرّ على الرقيب العسكريّ الإسرائيليّ في «بيت أجارون» في القدس الغربيّة. وكان الرقيب، الذي غالبًا ما يكون مستشرقًا أو مستعربًا يحاول إجادةَ اللغة العربيّة قَدْرَ الإمكان، حسّاسًا للكاريكاتير بشكل عامّ ولكاريكاتير ناجي «المحرِّض» بشكل خاصّ. فكان يقوم بشطب معظم الرسوم المباشرة المحرِّضة ضد الاحتلال والسياسة الإسرائيليّة.

ما كتبه محمود درويش عن الصحف التي أصبحتْ تُقرأ من الخلف بحثًا عن رسوم ناجي العلي انطَبَقَ على **الميثاق**. وانطبق أيضًا على **القدس** التي صارت تُقرأ من الوسط، حيث أَخذتْ رسومُ ناجي تتصدّر صفحةَ الرأي الداخليّة فيها.

حادثة الاغتيال وانعكاساتها

كانت رسوم ناجي مواكِبةً للحدث السياسيّ اليوميّ، مع تركيز خاصّ على الهمّ الفلسطينيّ بكل تشعّباته. وقد كان هناك شعورٌ عامّ في الأرض المحتلة أنّ هذا الرسام يقيم بيننا في إحدى المدن أو القرى أو المخيّمات. ولم يتغيّر هذا الشعور إلا حينما وردتْ أخبارُ محاولة اغتياله في لندن في تموز ١٩٨٧.

كان خبرًا مفجعًا وثقيلاً ومأساويّاً. لماذا يقتلونه؟ ومَنْ يقف وراء محاولة القتل الجبانة؟ في فترة العلاج تحت العناية الفائقة، كان هناك أملٌ كبيرٌ بأن يعيش. وكانت أخبارُ صحّته تُنشر يوميّاً في صحف الأرض المحتلّة.

حاولتْ إسرائيل وجِهاتٌ عربيّة وأخرى فلسطينيّة أن توحي ـ بل راحت تصرِّح أحيانًا ـ بأنّ مَنْ يقف وراء اغتيال ناجي هو رئيسُ منظمة التحرير الفلسطينيّة نفسه بسبب كاريكاتير جارح. وكانت إسرائيلُ تحديدًا تحاول أن تَفْتعل معركةً فلسطينيّةً ـ فلسطينيّةً كي تغطّي على جرائمها. ولكنّ جمهورَ الداخل لم يشترِ هذه البضاعة، وآثر الانتظارَ لمعرفة الحقيقة.

جاء في الأخبار أنّ السلطات البريطانيّة قامت بترحيل أحد عملاء الموساد، وبسجن آخر، قبل أن تختفي آثارُهما في إسرائيل حتى الآن.

وفي عام ٢٠٠٠ نَشَر الموساد قائمةً طويلةً بأسماءِ مَنْ أسماهم بالإرهابيين، فورد مِنْ بينهم اسمُ ناجي العلي!

خليل أبو عَرَفَة

(جريدة السفير، ١٩٨٢/٣/٣٠)

في الأشهر الأولى للانتفاضة، تَذَكَّرْنا ناجي

(جريدة السفير، ١٩٨٢/١١/٨)

ذكر البعض أنّه قال إنّه يودّ أن يُدفن في مخيّم عين الحلوة. ولكنّي أعتقد أنّ قبره يجب أن يُنقل إلى «الشجرة»

بعد أيام من إعلان استشهاد ناجي أقامت مجموعةٌ من الفنّانين حفلَ تأبين له في المسرح الوطنيّ الفلسطينيّ في القدس . حضر التأبينَ جمهورٌ غفيرٌ كان من بينهم المرحوم فيصل الحسيني. وفي حفل التأبين قام المخرج والممثّل الجليليّ راضي شحادة بأداء دور حنظلة، فأدار ظهرَه للجمهور، وظَهَرَ ظلُّ الشوك المنبعث من رأسه على الشاشة السوداء. وقام الممثّل المسرحيّ أحمد أبو سلعوم وأعضاءُ فرقة المسرح الشعبيّ «سنابل» بأداء اسكتشات مسرحيّة مستوحاة من رسوم ناجي. صفّق الجمهورُ طويلاً لأبو سلعوم حين قال «فَشَروا،» ردّاً على أولئك الذين يودّون تَشْليحَ الفلسطينيّين أسلحتَهم في مخيّمات لبنان.

اغتيل ناجي العلي قبل اندلاع شرارة الانتفاضة بأشهر قليلة. لكنّ حنظلة، هذا الطفل الذي كان يراقب كلَّ شيء صامتًا في معظم الأحيان ومعلّقًا بمرارة في بعض الأحيان، اختار أن يُمْسك الحجرَ وأن يلقي به على جنود الاحتلال. آنذاك، في الأشهر الأولى للانتفاضة، تذكّرنا ناجي. ترى ماذا كان سيَرْسم؟ وكيف كان سيعلّق على هذا الحدث أو ذاك؟

أين سيذهب ناجي؟

توقّع ناجي أن يقوم أناسٌ جبناءُ باغتياله، وقد عبَّر عن ذلك من خلال رسوم موثّقة. وذكر البعضُ أنّه قال إنّه يودّ أن يُدفن في مخيّم عين الحلوة، وهو المخيّم الذي أحبّه وحافظ على انتمائه إليه وإلى أهله المشرّدين الحالمين بأن يتحوّل إلى بركان متفجّر حتى تعود فلسطين، كما عبَّر ناجي في رسومه الأولى.

ناجي اليوم مدفون في مقبرة في إحدى ضواحي لندن. ولكن الآن، وبعد ١٥ عامًا على استشهاده، أَعْتقد أنّ قبره يجب أن يُنقل إلى مكانٍ آخر غير عين الحلوة. وليَسْمحْ لنا ناجي بذلك!

قبرُ ناجي يجب أن يُنقل إلى قريته «الشجرة،» القريةِ التي استُشْهِد دفاعًا عنها شاعرُنا الذي توقَّع بدوره شهادتَه: عبد الرحيم محمود.

قبرُ ناجي سيُنقل يومًا ما إلى الشجرة، ولو بعد حين.

القدس

خليل أبو عرفة

رسام كاريكاتور من فلسطين. راجع رسمَه المهدى إلى ناجي في مكان آخر من المجلة.